الفصل السابع

حقوق البنات ورعايتهنّ وتعليمهنّ وحل مشاكلهنّ

البحث الأول:

حقوق رعاية البنات في الإسلام

حثَّ الإسلامُ قولاً وعملاً على رعاية البنات والصّبر عليهن ورحمتهن وإيثارهنّ على النّفس.

ففي الجانب القولي نرى المصطفى ﷺ يُوصي أمّته بذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كانَ لهُ ثلاثُ بناتٍ، فصبرَ عليهنّ، وأطعمهُنّ، وسقَاهُنَّ، وكسَاهُنّ مِنْ جِدتِهِ، كُنَّ لهُ حجاباً من النّارِ يومَ القيامة**»[(١)].

وحرصاً من الرسول ﷺ على رعاية البنات والعناية بهنّ، يُغري المؤمنين بمصاحبته في دخول الجنّة إذا قاموا على البنات وأنفقوا عليهن.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عالَ جاريتين حتَّى تدركَا دخلَ الجنَّة، أنا وهو كهاتين**»، وأشار بإصبعيه السّبابة والوسطى»[(٢)].

أمّا في الجانب العملي فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة، فأعطيتُها إيّاها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت، فدخلَ النّبيّ ﷺ علينا فأخبرته فقال: «**من ابْتُلِي من هذه البنات بشيء كُنّ له ستراً من النّار**»[(٣)].

---

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ٦٤٨٨.
(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٦٣٩١.
(٣) صحيح الجامع الصغير برقم ٥٩٣١.

ففي هذا الحديث حث عملي على إيثار الأولاد والبنات خاصة على النفس وحث على رحمتهن والشفقة عليهن.

ولم يقتصر الإسلام على إكرام البنت في بقائها وحفظ حياتها الجسدية فحسب بل إن الإسلام اعتنى بحياتها السلوكية والفكرية وحثَّ على تأديبها وتعليمها أمور دينها ودنياها قولاً وعملاً.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كانت له جاريةٌ فعلّمها فأحسنَ إليها ثم أعتقها وتزوّجَها كان له أجران**»[1].

فإذا كان الإسلام قد حث على تعليم الجارية، فالبنت وجميع الأهل أولى من غيرهم بالرعاية والعناية والتّعليم.

ولفقه الصحابة رضي الله عنهم بأهمية التربية والتأديب والتّعليم للبنات، فإنهم يولون ذلك العناية التّامّة، وقد سبق ذكر مثال قوي في قصة زواج جابر بن عبد اللَّه بالثّيّب حينما وضع نفسه مكان أبيه في رعايته لأخواته.

البحث الثاني:

حقوق المرأة في تلقي العلم الشرعي

إذا كان تعلم أمور الدين حقاً من حقوق المرأة المسلمة، فإنّ من الحقوق ما يجوز أن يتنازل عنه صاحبه، لكن هذا التعلم فوق أنّه حق لها فهو واجب عليها، لا يجوز أن تتنازل عنه بأيّ حال حتى تتمكّن من أداء ما يجب عليها من عبادةٍ لله تعالى، فما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب. والمرأة محتاجة إلى أن تعرف التّوحيد والفقه وأن تعرف الحلال والحرام وأن تقرأ القرآن في صلاتها على أقل تقدير، وليس أدل على وجوب طلب العلم من قول الله عز وجل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ

(١) صحيح البخاري برقم ٢٥٤٤.

﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[١]. وقول رسول الله ﷺ المروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**طلب العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم**»[٢]. فقد جعله رسول الله ﷺ واجباً دينياً وفرضاً لازماً عينياً على المسلمين، الرجال منهم والنّساء.

وإن من المجمع عليه أن المرأة مسؤولة عن صلاتها وصيانتها وزكاة مالها وصيامها وحجّها وسلامة عقيدتها، والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وليس لها ذلك إلّا بالتّعليم، كما أنّ عليها أن تتعلم من أمور دينها ما يساعدها على القيام بالأعباء الزّوجية والمنزلية في مراحل حياتها المختلفة.

وقد أوجب الله سبحانه على المرأة طلب العلم الضّروري لإقامة ما كُلّفتْ به شرعاً على الوجه الصّحيح.

وجعل طلب العلم من علامات الخير، حيث قرر المصطفى ﷺ ذلك فيما رواه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال: «**مَنْ يُرِدِ الله بهِ خيراً يفقهه في الدِّين**»[٣]. كما كلّف المجتمع المسلم، بتأمين فرص التعليم للمرأة كالرّجل يقوم به ولي الأمر أو من ينوب عنه وفق الشروط المعلومة في الشرع.

ولقد حثّ القرآن الكريم، المجتمع المسلم، على طلب العلم، ولم يخصص جنساً دون جنسٍ، وإن كان بعض النّصوص قد جاء بصيغة خطاب المذكر، إلّا أنّ هذا الأسلوب جاء للتّغليب كما سبق ذكره، وحيث أننا قد ذكرنا عدداً من الشواهد القرآنية الحاثّة على طلب العلم عُموماً، فسنقصر الحديث على ذكر الشواهد الحديثية الخاصة بحق النساء في التّعليم وحثّهنّ عليه. فمن هذه الشواهد ما يلي:

عن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لهم أجران، رجلٌ من أهل الكتاب آمَنَ بنبيّهِ وآمنَ بمحمّدٍ ﷺ، والعبدُ المملوك إذا أدّى حقَّ الله،**

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٣٩١٤.
(٣) صحيح البخاري برقم ٧١ و٣١١٦.

وحقَّ مواليهِ، ورجلٌ كانت عنده أَمَةٌ فأدّبها فأحسنَ تأديبَها وعلّمها فأحسن تعليمَها، ثم أعتقها وتزوّجها، فلهُ أجران»[1].

وقد وضع الإمام البخاري رحمه الله عنواناً لهذا الحديث أسماه «باب تعليم الرجل أمتَهُ وأهله» وذكر فيه هذا الحديث.

ومن حرص الإسلام على تعليم النّساء. فقد كان الإمام يتولَّى هذه المهمة بنفسه، فعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أشهدُ على النّبيّ ﷺ، أو قال عطاء: أشهدُ على ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال فظنّ أنّه لم يُسْمِعِ النساءَ، فوعظهنّ وأمرهنّ بالصّدقة، فجعلتِ المرأةُ تُلْقِي القرطَ والخاتم، وبلال يأخذ في طرف ثوبه.

وقد تنبهت المرأة المسلمة إلى حقها في التعليم في عهد المصطفى ﷺ، وشاهد ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله! ذهب الرجال بحديثك فاجعلْ لنا من نفسِكَ يوماً نأتيك فيه تعلمنا ممّا علَّمَكَ الله. قال: «**اجتمعن يوم كذا وكذا**» فاجتمعنَ فأتاهُنّ رسول الله ﷺ فعلّمهنّ ممّا علّمه الله ثم قال: «**ما منكُنّ من امرأةٍ تُقدِّمُ بينَ يديها من ولدِهَا ثلاثةً، إلّا كانوا لها حجاباً منَ النّار**» فقالت امرأةٌ: واثنين واثنين واثنين، فقال رسول الله ﷺ: «**واثنين واثنين واثنين**».

وإذا كان العلم من المطالب الأساسية في حياة الإنسان وليس محل خلاف تَبيّن لنا أن للمرأة نصيبها منه.

وقال الشّيخ الألباني: «والحق أنّ الكتابة والقراءة نعمةٌ من نِعَمِ الله تبارك وتعالى على البشر، فلا ينبغي للآباء أن يحرموا بناتِهم من تعلمها شريطة العناية بتربيتهنّ على الأخلاق الإسلامية كما هو الواجب عليهم بالنسبة لأولادِهم الذكور أيضاً فلا فرق في هذا بينَ الذكورِ والإناث»!.

---

(١) صحيح البخاري برقم ٩٧

البحث الثالث:

تعليم البنات تكريم لهنّ وهو عملٌ إسلامي في سبيل تعليم البنات

لقد وردَ كثير من الأحاديث النّبوية التي تحثُّ على الاهتمام بالبنت وإكرامها والإحسان إليها، وعلى عظيم الثّواب لمن يعُول البنات ويقوم على رعايتهنّ وتعليمهنّ وتربيتهنّ، وذلك لكونهنّ أمهات أجيالٍ قادمة، واعتبارهنّ البانيات للمجتمع المتجدّد على مدىٰ الحياة!.

ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عالَ جاريتين** - أي بنتين - **حتّى تبلغَا، جاءَ يومَ القيامة أنا وهو**»[(١)]، وضمَّ أصابعَهُ.

وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ البنَاتِ بشيء فأحسنَ إليهنّ كُنّ لهُ ستراً من النّار**». وقال ﷺ: «**مَنْ كانتْ له ثلاثُ أخواتٍ، أو ابنتان أو أختان فأحسنَ صحبتهنّ، واتّقى الله فيهنَّ فلهُ الجنّةُ**»[(٢)].

والإحسان إليهنّ يشمل كلَّ أمرٍ فيه مصلحتهنّ وفائدتهنّ، من رعايةٍ وتربيةٍ وتأديبٍ وتعليم وتزويج بالرّجل الصّالح؛ إلى آخر ما تشمله كلمةُ «الإحسان» من معانٍ وأمور.

كما وَرَدَ في كتاب الله تعالى قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾[(٣)]. ويقول رسول الله ﷺ: «**إنّ الله حرّم ثلاثاً، ونهى عن ثلاثٍ: حرّمَ عُقُوقَ الوالد، ووَأْدَ البنات، ولا وَهَات** [أي الامتناع عن أداء ما توجبه عليه من الحقوق، فيقول في الحقوق الواجبة: لا أعطي] **ونهى عن ثلاثٍ: قيلٍ وقالٍ، وكثرةِ السّؤال، وإضاعةِ المال**».

ومِنْ جُملة تكريم الإسلام للمرأة تحريم المفاضلة بين الأولاد، ويشمل ذلك

---

(١) أخرجه مسلم، ج ٤/٢٠٢٨.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي ج ٦/ ٣٩ - ٤٠.

(٣) سورة التكوير، الآيتان: ٧، ٨.

التّفرقة بين البنات والأبناء، في أيّ شيءٍ؛ في الهبة والعطية، والتأديب والتّعليم، ودليل ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن النّعمان بن بشير، قال: تصدّق عليَّ أبي ببعضِ مالهِ، فقال له رسول الله ﷺ: «**أفعلتَ هذا بولدك كلِّهم؟**» قال: لا، قال: «**اتَّقُوا الله واعدِلُوا في أولادِكم**»[1] فرجع أبي فردَّ تلكَ الصّدقة.

فهذه الآيات والأحاديث في جملتها تدلُّ على كرامة البنات عندَ الله تعالى وعندَ رسوله ﷺ مثل الأبناء تماماً سواءً بسواءٍ، بل إنّ البنات سبب سعادة الآباء والأمّهات في الدنيا والآخرة بما تجرّه عليهم من خير كثير وثواب عظيم، ثم لا ننسىٰ أنّ جميعَ الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم حضنتهم أمّهاتهم، ولا يغيبُ عن أذهاننا سيرةُ الصّديقة الطهور البتول «مريم» عليها السلام، وما كان لها من الله تعالى من العناية والرّعاية العظيمة.

وكذلك أمهات المؤمنين - زوجات سيّد المرسلين ﷺ - وأولهنّ الصّدّيقة خديجة رضي الله عنها، وما كان منها من التأييد والتّصديق والمؤازرة والإنفاق لجميع مالها في سبيل دعوة رسول الله ﷺ.

فالمرأةُ في الإسلام لها مكانتُها على قدرِ عطائها وتقوَاها وصلاحِها، وهذا رسول الله ﷺ هو القُدوة الصّالحة والأُسوة الحسنة في رعاية البنات، حيث لم يعش له سواهنّ، فكان ﷺ «أبا البنات».

وقد أخرج أبو داود: أنّ رسول الله ﷺ كان إذا دخلت عليه ابنتُه «فاطمةُ» [عليها السلام] قامَ لها فأخذ بيدها فقبّلها، وأجلسَها في مجلسِهِ، وكان إذا دخلَ عليها قامتْ إليه فأخذتْ بيده وأجلستْهُ في مجلسها»[2].

فالرّسولُ الكريمُ ﷺ خير أسوةٍ للآباء والأمّهات في البِرّ والإحسان، لا سيما الإحسان إلى البنت، وأعلى ما في الإحسان إلى البنت تعليمها وتأديبها، وهذا ما يجعلها أمًّا عظيمةً فاضلةً تُنْشىء الرّجالَ العُظماءَ والصّلحاءَ!.

---

(١) أخرجه مسلم، ج ٣/ ١٢٤٣.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود ج ١٤/ ١٢٨، ورواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

فالإسلام لم يترك البنات ينشأن بلا علم، بل رغّب في تعليمهنّ تعليماً شرعياً، وتأديبهنّ تأديباً إسلامياً، وتنشئتهنّ النّشأة الإسلامية الصّحيحة القائمة على المعرفة والعلم؛ لأنّ ذلك وسيلة مُوصلة إلى قيامها بتربية أبنائها تربيةً حسنة، يقول الشاعر حافظ إبراهيم:

الأمُّ مـــدرســـةٌ إذا أعـــدَدْتَـــهـــا أعـددتَ شـعـبـاً طـيِّـبَ الأعـراقِ

إنّ الإسلامَ في بداية انتشارِهِ، أخذ بيدِ المرأة فأنزلها مواطن العزّة والرّفعة والكرامة، وهو الذي صحَّحَ وضعَها في العَالَمِين، بعد أن كانت في أسوأ الأوضاع، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءتِ امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالتْ: يا رسولَ الله! ذهبَ الرِّجَالُ بحديثِكَ، فاجعلْ لنا من نفسِكَ يوماً نأتيكَ فيهِ تُعلِّمَنا ممّا علَّمَكَ الله؟! قال: «**اجْتَمِعْنَ يومَ كذا وكذا**» فاجتمعنَ، فأتاهنّ رسول الله ﷺ فعلّمهنّ ممّا علّمه الله، ثم قال: «**ما منكُنّ مِنِ امرأةٍ تقدّم بينَ يديها من ولدها ثلاثةً إلّا كانوا لها حجاباً مِنَ النّار**» فقالتِ امرأةٌ: واثنين واثنين واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**واثنين واثنين واثنين**»[(١)].

ولقد وَرَدَ في فضلِ تعليم البنات، ما أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب تعليم الرجل أمَتَهُ وأهلَهُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ورجلٌ كانتْ عندَهُ أمَةٌ فأدّبَها فأحسنَ تأديبها، وعلّمها فأحسنَ تعليمها، ثم أعتقَها فتزوّجَها فلَهُ أجران**»[(٢)].

فإنْ كان هذا الأجرُ وَرَدَ في تعليم الأَمَة المملُوكة، فكيف بالابنة أو الأخت الحرّة؟! لا شكَّ أنّ الأجر سيضاعف.

كذلك نجدُ الرسولَ ﷺ يَسُنُّ للنّساء سُنّةً مؤكّدةً: هي شهودُ مجامع العلم والخير ليتزوّدْنَ منها بالفائدة والمعرفة والبركة، ففي صحيح مسلم عن أُمِّ عطية رضي الله تعالى عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أنْ نُخرجهنّ - أي البنات الحيّض - في الفطر والأضحى. العَوَاتقُ، والحيّض، وذوات الخُدُور، فأمّا الحُيّض فيعتَزِلْنَ الصّلاةَ، ويشهدْنَ الخيرَ - أي خطبة العيد - ودعوةَ المسلمين،

---

(١) تقدم تخريجه سابقاً.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

قلت: يا رسول الله! إحدانا لا يكون لها جلبابٌ؟ قال: «**لتلبسها أختُها من جلبابِها**»[١].

ولا يخفى ما في هذا الأمر المؤكّد في الحديث من التّكريم للبنات والعناية برفع مستواها العلمي والفكري والأدبي والخُلُقي، وخصَّهنّ رسول الله ﷺ بذلك لأنّهن على صغر أعمارهن أقدر على الاستيعاب والفهم والإدراك، كما في هذا الحديث من التّرغيب على خروجهنّ لشهود دعوة الخير - وهي الدّعوة إلى الله تعالى - وهذا يكسبها معرفةً عملية في الدّعوة إلى الله تعالى وتبليغها، وهذا من دلائل لزوم مشاركة المرأة في الدّعوة إلى الإسلام بين بنات جنسها، كما يقوم الرّجالُ بالدّعوة بين بني جنسهم.

وهذه كتبُ السُّنّة والسيرة النّبويّة تحكي لنا عن مشاركة الصّحابيات في تلقي العلم عن رسول الله ﷺ وتبليغه للنّساء خاصّة وللرجالِ عامّةً، وعلى رأسهنّ «أمّهات المؤمنين» رضي الله تعالى عنهُنّ.

وقد ظلّتِ المرأة في ظلِّ الإسلام على مدى تاريخه النّاصع - عدا عهدِ التخلّفِ والتّعصّبِ حيثُ حُجِرَ التّعليمُ عن البنات - تطلبُ العلمَ وتنالُ منه بقدر حاجتها وضرورتها، وتقوم بتعليم غيرها ما تعلمتْهُ، وهذا مقتضى الحديث: «**طلبُ العلم فريضة على كلِّ مسلم**»[٢]. وحكمُ الحديث يعمُّ الرجالَ والنّساء، وعليه إجماعُ العلماء!.

وقد فصّلَ العلماء مراتب تعلّم المرأة إلى: فرض عين، وفرض كفاية.

١ - فرض العين: هو العلمُ الذي يُبيّن لها عقيدتَهَا وعبادَتَها وأخلاقَها وآدابَها وسلُوكَها، وتربية أولادها ومعاشرة زوجها. فهذا مفروض عليها بلا استثناء لواحدة من النّساء.

٢ - فرض كفاية: هو العلم الذي تحتاج إليه النّساء في الصّحة والطّبابة

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، ج ٢/ ٦٠٦.

(٢) سنن ابن ماجه ج ١/ ٨٠، وهو حديث حسن لتعدد طرقه.

والولادة والتّمريض، وتعليم البنات والنّساء عموماً. فهذا مفروض على بعض النّساء القادرات على تحصيله، فيكون من باب الوجوب على الكفاية: مدرّساتٌ ومعلّماتٌ، وطبيباتٌ وقابلاتٌ وممرّضاتٌ.

ويجبُ أن نعلم أنّ المرأةَ في جميع مراحل تعلُّمِها وتعليمها ودعوتها مطلوبٌ منها المحافظة على أنوثتها ورقتها، لأنهما هبةٌ من الله تعالى للأزواج، وللأولاد وللمحارم، فالأنوثة هي أحدُ شقيّ الإنسانية، وهي مكملةٌ للرّجولة في تحقيقه، وهي ضرورة حياتية لكل أسرة بشرية لا يمكن الاستغناء عنها، بل لا تطيب حياة الأُسر ولا تستقيم بدونها!.

لذا وجب تعهدها بالرّعاية والتّربية بما يُنَاسب أُنوثتها، ويُنمي مواهبها ويُعرّفها بخصائصها، حتى تنشأ نشأةً واعيةً، كما ينشأ الرجال في معترك الحياة، فكما يفتخر الرجل برجولته وأعماله النّافعة، تعتزّ المرأة بأنوثتها، وبعملها الذي خصّها الله تعالى به، ولا يجوز لها أن تحتقر وظيفتها الطبيعية التي هيّأها الله تعالى لها، وهي أن تكون زوجة، وأن تحملَ، وتلدَ، وتربّي أطفالها، وتقومَ بشؤون البيت على قدر استطاعتها، مستظلّةً بقِوَامة زوجها الذي أوجبَ الله تعالى عليها طاعته عليها بالمعروف.

فالتّربية الصّحيحة للبنات والفتيات وللنّساء لا بدَّ فيها من العناية الخاصّة، والإشراف الدّقيق سواء في البيت أو في المدرسة على أيدي الأمّهات الفاضلات، والمعلّمات المربّيات الكريمات اللائي يتصفْنَ بالخبرة والأخلاق الحميدة والعقل المستنير والتفكير النّاضج، ومن فقدتْ جانبَ التّربية الحسنة أو العلم الضروري من أُمّها، فَلْتُعَوِّضْهُ من إحدَى المعلّمات الفاضلات والمربيات الكريمات المعروفات في كلِّ حيّ من أحياء المُدن والقُرى.

البحث الرابع:

مشكلات المرأة في التّربية والتّعليم وحلّها في ظلال الإسلام

تُواجه المرأةُ المسلمةُ بعضَ المشكلاتِ في التّربية والتّعليم، فيجبُ أن يكونَ حلُّها في ضَوْءِ القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة، فأقول:

لقد ظهرتْ لنا مشكلاتٌ عدّةٌ في نواحي الحياة المختلفة، وسأذكر جانباً من هذه المشكلات وأسبابها وحلّها في ضوء القرآن والسّنّة حتّى يزول الغُموض اللَّبس عنها، وتعود التّصوّرات الصّحيحة والنّظرة السّليمة للمرأة التي انخدعت بالحضارة الغربيّة المزيفة، وأهمّ هذه المشكلات هي مشكلات التّربية والتّعليم، وقبل أن نتعرّض لهذه المشكلات لا بدّ من تعريف معنى التّربية والتّعليم:

فالتّربية هي المجال لنموّ الأطفال جسداً وعاطفةً وعقلاً واجتماعاً، وهي باختصار: عمليةُ نموّ الشّخصية لدى الناشىء نموًّا متكاملاً بوصفها كلاً لا تتجزّأ؛ فالتّربيةُ الحقّةُ تشملُ بناءَ الشّخصيةِ الإنسانية في جميع جوانبها وكافّة مراحلها.

وأمّا التّعليم: فهو تلقين الاعتقاد، والأفكار، والمعارف، كما هو أيضاً: التّدريب على الأعمال اليدوية والآلية، فالتّعليم جزءٌ من التّربية العامّة، لأنّه يختصّ بالعقل.

إنّ التّربية السّليمة الصّحيحة لكلِّ إنسانٍ مسؤولية الآباء والأُمّهات في تهيئة الجوّ الملائم لنموّ طفلهما ورعايته رعايةً متكاملةً، ويكون هذا للبنت كما هو للابن على حدٍّ سواء، أمّا مشكلةُ تفضيل الابن على البنت في أيّ مجالٍ من مجالاتِ البناءِ التّربوي، فقدْ عابَها الإسلامُ وذمّها ذمًّا شديداً، يتبيّن ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1]. فكان الإنسانُ الجاهلي في عصر الجاهلية يقفُ من الأُنثى كما

(١) سورة النحل، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

وصفه الله تعالى به في هذه الآية الكريمة، أمّا الإنسان الجاهل في هذا العصر فإنّه يدفنُ البنتَ في الجهل والتّخلّف، فلا يُحييها بالعلم والمعرفة والثقافة لتكونَ أُمًّا قادرةً على بناء أولادها بناءً كاملاً، فالأمُّ الجاهلةُ لا قدرةَ لها على تربية أولادها تربيةً مُتكاملةً، فهي تخبط في تربية أولادها خبطَ عشواءٍ بلا علمٍ ولا بصيرة، ومن هنا كانت أولى مشكلات المرأة في التّربية والتّعليم.

فعلاجُ هذه المشكلة هو مساواةُ البنتِ بالابن سواءً بسواءٍ، في التّربية والتعليم، وبدون هذا الحلِّ العادل والمتوازن ينتقل الظلمُ من بيتٍ إلى بيتٍ؛ من بيتِ الأب المتهاون - بل الظالم - إلى بيتِ زوج ابنته، حين تُصبح زوجةً، أي حينَ تكونُ أُمًّا غيرَ مُؤهّلةً لتربية أولادها تربيةً صحيحةً ومُتكاملة.

وهكذا ينتقل الفشلُ في حُسْنِ التّربية إلى كلِّ أسرةٍ متفتحةٍ من وراء الأمّ الجاهلة، وبمقدار ما تتحقّق التربيةُ والتعليم المتكاملان في كلِّ بنتٍ، يتحقّق النّجاحُ في كلِّ أسرةٍ متفتحةٍ على الدّوام!.

إنّ الاهتمام بالبنات اهتماماً تربوياً وتعليمياً هو اهتمامٌ بلا ريبٍ بكلِّ أسرةٍ جديدةٍ تنشأ على الحياة.

وإنّ حَجْرَ التّعليم المتكامل عن البنات باسم الدِّين - والدِّينُ الحنيفُ منه بَراءٌ - قد ولَّدَ في نفس البنات الّلاتي هنّ أمّهات المستقبل كراهيةَ الدِّين - والعياذُ بالله تعالى من ذلك - وهذا يعني نُشُوءَ أُسَرٍ غيرِ مُتدينةٍ على أثَرِ كراهةِ الأُمّ للدِّين.

وفوق ذلك نجدُ العلمانيين - أعداءَ الدِّين - يستغلّون هذا الحَجْرَ على تعليم البنات ليُنَادُوا بقضية «تحرير المرأة» وهي كلمة حقٍّ أُريدَ بها باطلٌ، فإنّ الإسلام هو الذي حرّر المرأة من ظلم الجاهليّة، وهو الذي يُحرّرها من ظلم الجاهِلِيين حينَ يُوجبُ تعليمَها تعليماً متكاملاً كما يُوجبُ تربيتَها تربيةً متكاملةً، ولن يكون الجُهَلاءُ من المسلمين عاراً على الإسلام، بل هم عارٌ على مَنْ حَجَرَ العلم عنهم، فإنّ الإسلام يُوجبُ العلمَ لاستقامة الدِّين والدّنيا على هدي الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ.

فقضيةُ المُطَالبة بحقوق المرأة وتحريرها ومساواتها بالرّجل في كلِّ شأنٍ من شؤون الحياة في هذا العصر؛ قضيّةٌ ملفّقةٌ من عدّة وجوهٍ:

الأول: نزعُ المرأة من إطار الحجاب الشّرعي الذي فرضه الله تعالى على المرأة، وجَعْلُها تخرجُ متبرّجةً ليسهلَ الوصولُ إليها بلا ضابطٍ ولا رابطٍ.

الثاني: تكليفُ المرأة أعمالاً لا تتوافق مع أنوثتها، أو إشغالها بأعمالٍ تتعارض مع وظيفتها «المُثْلى» وظيفة الأُمُومة.

الثالث: خِدَاعُها بالحرّيّة المزعومة، التي تتمثّلُ بالتّمرّد على أبويها، أو على زوجها، لتخرجَ متى شاءتْ، ولتذهبَ إلى حيثُ شاءتْ، وهم يقصدون من وراءَ ذلك تحريرَهَا من قُيُود الحفاظ عليها ورعايتها والخوف عليها من ذئاب الشّهوات المحرّمة.

فإذا سلمتْ المرأةُ من خدعة «المطالبة بحقوقها وتحريرها» فقد سلمتْ من دُعاة العلمانية وذئاب الشّهوات الخبيثة الحيوانيّة، وهذه من أعظم المشكلات التي تُواجه المرأة في التّربية والتّعليم، حيث إنّها إنْ سلمتْ من هؤلاء سلمتْ تربيتُها وسَلِمَ تعليمُها.

إنّ المرأةَ في الإسلام شريكةُ الرّجل في البناء الاجتماعي، فجهلُها خطرٌ عليها وعلى مَنْ تحتَ يدِها من أطفالٍ وأبناءٍ، وانخداعُها بدعوة المشبوهين خطرٌ عليها في شرفها وعفّتها وطهارتها وكرامتها، ولن تتكوّن الشّخصيّةُ المتكاملةُ للمرأة السّويّةِ الكريمةِ إلّا بالعلم المتكامل وبالحَصَانة المُتَكاملة.

ومن المشكلات التي تُواجه المرأة في التّربية والتّعليم «التّعليم المختلط»، إنّ الملاحظ في مناهج التّعليم في بعض بلاد المسلمين هذه الطّريقة المستوردة من الغرب، طريقة التعليم المختلط؛ اختلاط في الأجساد، واختلاط في الأفكار والنّفسيات، فالاختلاطُ الأول معروف وخطره ظاهرٌ بيّن.

وأمّا الاختلاطُ الثاني: فهو في المناهج التي تتجاهل طبيعة المرأة، وتتناسى الفروق في تركيبها الجسماني والنّفسي، فهي حين تُزجّ في كليات الهندسة العمرانيّة أو الميكانيكيّة أو الكهربائيّة أو الزّراعيّة، من غير اختيارٍ لها ولا رغبةٍ

منها؛ يُقْتَحَمُ بها عَالَمَ «الاسترجال» الذي ابتُلِيتْ به المرأةُ المعاصرة، فنتجَ عن ذلك مشكلاتٌ رهيبة، أودتْ بالمرأة في مهاوي المزعجات والاضطرابات، فلا هي بالقادرة على التعايش مع ما فُرض عليها من «الاسترجال»، ولا هي بمتخليةٍ عن أنوثتها ولا عن رقّتها، وفوق ذلك؛ إنّ المرأة حينَ تنزلُ ميادين الرّجال، تتخلّى عن أعظم أعمالها وهي تربية أطفالها ورعاية بيتها، وفي هذا فسادٌ للأسرة، ثم هو فسادٌ للمجتمع، وذلك لفساد البيت وتشرّد الأطفال في غياب الرّاعية لهما. فلا بدّ من مُراعاة طبيعة المرأة من حيثُ تفكيرها بالأمومة، أولاً وأخيراً، فتُوجَّهُ نحو هذا الهدف النّبيل، ونحو هذه الغاية العظيمة، ثم تُسخَّرُ لها العلومُ التي تعينُها على تحقيق ذلك.

وبتحقيق هذا تُحَلُّ هذه المشلكة التي تُواجه المرأة في التّربية والتّعليم، وذلك لأنّ الله تعالى لا يُكلِّفُ نَفْساً إلّا وُسْعَها، ووُسْعُ المرأةِ هو في وظيفتها العُظْمَى التي لا يقومُ بها أحدٌ سواها من البشر «زوجة صالحة» و«أُمّ مربّية فاضلة».

وحينَ تتخلّى المرأةُ عن وظيفتها العُظْمَى، فإنّا سنرى الخلَلَ والاضطرابَ والضّياعَ والفسادَ في الأسرة والمجتمع.

ويجبُ على المرأة مُراعاةُ ظروف زوجها في حالتي تعلّمها وتعليمها، تجنّباً لنشُوء الصّراع والمشاكل بينَها وبينَ زوجها، فإنّ هذا من أهمِّ الواجبات المرعية في الحياة الزّوجيّة.